

"انعكاسات التدخل الروسي في سوريا على أمن إسرائيل"

أحمد عدلي *

صدر عن معهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي^٩ تقريرين، الأول حمل عنوان "مشاركة روسيا في سوريا: فرصة استراتيجية لإسرائيل"^{١٠} للكاتبان عاموس يادلين (مدير معهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي) وكارميت فالنسي (باحثة مشاركة بمعهد دراسات الأمن القومي). والثاني حمل عنوان "المشاركة الروسية في سوريا: ما الذي تغير، والأهمية بالنسبة إلى إسرائيل"^{١١} للكاتبان أودي ديكل (عضو منتدب لمعهد دراسات الأمن القومي) وزفي ماجن (باحث مشارك بمعهد دراسات الأمن القومي).

أكد التقريران على أن الانخراط الروسي في الأزمة السورية يشكل نموذجاً استراتيجياً جديداً في خضم الديناميات المعقدة في الشرق الأوسط، حيث سيكون لذلك انعكاسات كبيرة على موازين القوى والتنافس في الحرب الأهلية السورية والصراع بين القوى الكبرى على النفوذ العالمي وأن إسرائيل ستأثر أيضاً بهذه الآثار في ضوء انتقال تداعيات الأزمة السورية إلى جنوب سوريا ومرتفعات الجولان، وهو ما سيأتي تفصيله.

أولاً: الأهداف الاستراتيجية للتدخل الروسي في الأزمة السورية:

أكد التقريران على أن روسيا هدفت بشكل أساسي إلى الدفاع عن معقل الأسد في منطقة الساحل، حيث تتركز الطائفة العلوية وتقديم إسناد جوي إلى قوات النظام وتسليح وتدريب هذه القوات،

* باحث بالمركز القومي لدراسات الشرق الأوسط.

^٩ مؤسسة بحثية متخصصة تقدم تحليلات ودراسات عسكرية واستراتيجية لصناع القرار في إسرائيل، مقره تل أبيب، تأسس عام ١٩٧٨.

¹⁰ Amos Yadlin , Carmit Valensi, "Russia's Involvement in Syria: A Strategic Opportunity for Israel", **The Institute for National Security Studies**, October 20, 2015, available at:

<http://www.inss.org.il/index.aspx?id=4538&articleid=10813>

¹¹ Udi Dekel , Zvi Magen, "Russian Involvement in Syria: What has Changed, and the Significance for Israel", **The Institute for National Security Studies**, October 7, 2015, available at:

<http://www.inss.org.il/index.aspx?id=4538&articleid=10699>

وأنة على الرغم من استخدام موسكو سبب ظاهري بإعلانها أنها تقوم بضرب معاقل تنظيم داعش، إلا أنها استهدفت أيضاً الجماعات المعارضة للنظام، وأن روسيا تستخدم ستار الحرب على الإرهاب لإنقاذ نظام الأسد وتعزيز دورها في الساحة الدولية، وبالتالي فإن الدعم الروسي النشط للأسد سيضعف من فرص الإطاحة به.

وأن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين لا يزال ينظر إلى نظام الأسد على اعتبار أنه عنصراً حيوياً في حل أزمة الإسلام المنتظر ونهاية الحرب الأهلية في سوريا، ويرى أن العالم لا يفهم أهمية دور الرئيس الأسد في مكافحة الإرهاب الجهادي.

وأن روسيا قد أعدت لتدخلها في سوريا بالتنسيق مع إيران، واستغلت إيران هذه الفرصة وقامت بإرسال المزيد من الجنود الإيرانيين للانضمام إلى قواتها هناك تحت قيادة قائد الحرس الثوري الإيراني قاسمي سليمان.

وأنة ليس من الواضح بشكل كافي الأساس المنطقي للتحرك الروسي وهدفه الاستراتيجي ونطاقه ومدته، إلا أن الواضح أن هذه الخطوة خلقت تحدياً كبيراً بالنسبة للولايات المتحدة وسياسة الرئيس أوباما في الشرق الأوسط، ووضعت إسرائيل في واقع جديد يتطلب إعادة النظر في سبل مواجهة تحدياته والفرص الناجمة عنه.

ووفق التقريران، يوجد بشكل عام أربعة سيناريوهات رئيسية محتملة بخصوص الهدف الاستراتيجي للتدخل الروسي في سوريا، وهذه السيناريوهات هي:

- ١- سوريا الصغيرة جداً؛ والتي تهدف من خلالها موسكو إلى ضمان وجود الدولة العلوية تحت سيطرة الأسد في غرب سوريا، مع الحفاظ على الحد الأدنى من المصالح الروسية أي موانئ البحر المتوسط، ونظراً لاتساع نطاق القوات الروسية على الأراضي السورية في الأيام الأخيرة، يبدو أن الروس لديهم أهداف أكبر بكثير من هذا السيناريو.
- ٢- سوريا الصغيرة؛ والتي تهدف روسيا من خلالها إلى الحفاظ على نظام الأسد في دمشق وحمص وحلب وحماة. وربما يكون دليل على هذه النية التقارير التي تشير إلى انضمام قوات خاصة ومتطوعين روس إلى القوة الجوية الروسية.

٣- سوريا ٢٠١١: والتي تهدف إلى تمكين النظام من استعادة السيطرة على كامل حدود الدولة السورية وهزيمة المعارضة تماماً بما يشمل المعارضة المعتدلة والمتطرفة وتنظيم داعش. ويعد هذا الهدف صعب التحقيق عملياً لأنه سيتطلب من روسيا إرسال قوات كبيرة جداً إلى سوريا، ويُضاف إلى ذلك تعدد كيانات المعارضة التي سيتعين مواجهتها في سوريا.

٤- سوريا خالية من الأسد: من الوارد أن تقبل روسيا بتسوية سياسية يتم من خلالها استبدال بشار الأسد بشخصية أخرى من داخل نظامه، بما يضمن لها استمرار التعاون مع العلويين ومصالحها بشكل عام في سوريا المستقبلية.

وبالنسبة للسيناريو المرجح، رأى التقريران أنه على الرغم من أنه من السابق لأوانه تحديد السيناريو الذي سيتحقق مع وجود احتمالية كبيرة للسيناريو الثاني والذي يحصر نفوذ الأسد في دمشق وحمص وحلب وحماة، إلا أن جميع السيناريوهات الأربعة ستضمن بقاء النفوذ الإيراني في سوريا بما يهدد أمن إسرائيل ويعد أفضل السيناريوهات التي تحقق المصلحة لإسرائيل هي، السيناريو الأول الذي سيبقى إيران بعيدة عن حدود إسرائيل، والسيناريو الرابع الذي سيكون للسنة نفوذ فيه بما لا يشجع على التعاون مع إيران وحزب الله في سوريا مستقبلاً. وفي حالة السيناريوهات الثلاث الأولى، فإن إسرائيل ستضرب بنسب متفاوتة، حيث سيعطى تحقق أي سيناريو منها شرعية لنشاط إيران وحزب الله في سوريا للسنوات القادمة.

ثانياً: الموقف الإسرائيلي من الأزمة السورية:

يرى التقريران أنه على الرغم من تهديدات بقاء النظام السوري على إسرائيل، فإن تل أبيب امتنعت حتى الآن من اتخاذ أي خطوات ضمن الجهود الرامية إلى إسقاطه، كما تجنبت إسرائيل منذ بداية الأزمة السورية على خلاف الأطراف الإقليمية والدولية الأخرى، التورط فيها ولم تعرب عن أي موقف متعلق بالترتيبات المستقبلية في سوريا، حيث اختارت الحكومة الإسرائيلية سياسة البقاء في الهامش واكتفت تل أبيب في تعاملها مع تطورات الأزمة فقط بالتدخل لإحباط أعمال إرهابية واتخاذ إجراءات لمنع وصول الأسلحة المتطورة إلى حزب الله.

كما نجحت إسرائيل -حتى الآن- في منع انتشار تداعيات الأزمة السورية إلى أراضيها، وقد سعى رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو من خلال زيارته إلى موسكو برفقة رئيس الأركان آيزنكوف في أعقاب التدخل الروسي في سوريا إلى تحقيق هذا الهدف، من خلال تعزيز التنسيق العملياتي مع روسيا ومنع

حدوث احتكاكات معها وكذلك الحصول على التزام روسي بمنع نقل أسلحة متطورة إلى الجيش السوري وقوات حزب الله في لبنان وسوريا. وأنه حصل بالفعل على تطمينات من موسكو بأنه لدى روسيا مصلحة واضحة لتجنب الصدام مع إسرائيل خاصة على المستوى العسكري.

ثالثاً: تهديدات الأزمة السورية للأمن القومي الإسرائيلي:

أشار التقريران إلى أن التحديات الأكثر خطورة على إسرائيل من الأزمة السورية تأتي من جانب إيران وحزب الله، في حين أن التهديد علمها من جانب النظام السوري وتنظيم داعش والجماعات الجهادية السلفية يعد أقل خطورة، وذلك على الرغم من أن النظام السوري هو المصدر المباشر لكل هذه التحديات لأن الأسد هو الذي مكن إيران وحزب الله من زيادة تواجدهم في سوريا وبالتالي فإن الإطاحة به يعد الوسيلة الأساسية لإضعاف محور الممانعة في سوريا، ويرتبط بذلك ما يلي:

- ١- أن بقاء النظام السوري حتى الآن سمح بوجود حزب الله وإيران في سوريا بشكل عام وبالقرب من مرتفعات الجولان بشكل خاص.
- ٢- أنه بالنظر إلى تنظيم داعش لا يزال بعيداً عن الحدود الإسرائيلية، فإنه لا يمثل تهديداً مباشراً في الوقت الحالي. وعلى النقيض من ذلك فإن حزب الله (المسلح بقدرات تشغيلية متقدمة وقاذفات وصواريخ بعيدة المدى يمكن أن تصل إلى إسرائيل) سيتم تقويته من خلال التدخل الروسي، حيث من المتوقع وصول الأسلحة الروسية إليه سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.
- ٣- تأكيد زعيم حزب الله على أن استقرار نظام الأسد هو الشرط الأساسي لبقاء محور الممانعة، كما تبذل إيران جهود كبيرة للحفاظ على بقاء هذا النظام، على اعتبار أن وجوده يعزز مكانتها في مواجهة العالم العربي السني وإسرائيل، وأن إتهياره سيؤثر بالسلب على المحور الشيعي وخاصة حزب الله.
- ٤- أن مشروع الهيمنة الإيرانية في سوريا يعد تهديداً مباشراً لإسرائيل، ويقترن هذا التهديد بالجهود الإيرانية المستمرة لتسليح نفسها بالقنابل النووية وتطوير برنامجها الصاروخي.

رابعاً: فرص التدخل الروسي في سوريا لإسرائيل:

يرى التقريران أن التدخل الروسي في سوريا خلق فرصتين لإسرائيل، الأولى إمكانية تعزيز التعاون مع الدول السنية في المنطقة وعلى رأسها المملكة العربية السعودية وتركيا بتنسيق من الولايات

المتحدة، حيث أن غضب هذه الدول من التدخل الروسي في سوريا، سيساهم في دفعهم لقبول إسرائيل كشرريك في محور الممانعة، والثانية أنه بإمكان إسرائيل أن تسعى لدفع روسيا للتوصل إلى حل سياسي يضمن خروج الأسد من السلطة.

خامساً: توصيات حول كيفية تعامل الحكومة الإسرائيلية مع الأزمة السورية:

دعا التقريران الحكومة الإسرائيلية إلى البحث بجدية في كيفية تقليل النفوذ الإيراني المتزايد في سوريا ولبنان على أن يكون ذلك من خلال روسيا على اعتبار أنها الفاعل الأول حالياً في سوريا ووضع خطط لمنع الهيمنة الإيرانية على مقربة من الحدود الإسرائيلية بمساعدة حزب الله، والعمل على دفع روسيا إلى الاعتراف بالمصالح الإسرائيلية وأهمها منع أي تواجد للجماعات الجهادية السلفية في منطقة الجولان الحدودية.

كما دعا إلى التحسب والحرص الشديد من التدخل العسكري الروسي أيضاً في سوريا، على اعتبار أن هذا التدخل سيزيد من مساندة نظام الأسد وإيران وحزب الله ويجعلهم يمتلكون الوسائل التي من شأنها تهديد إسرائيل، وأنه في هذا الإطار، يجب على إسرائيل أن تستعد لبذل جهود نشطة لإسقاط الأسد، لأن إسقاطه سيوجه ضربة قوية لكلاً من إيران وحزب الله.